دراسات وبحوث قرآنية:

بين "لادينيّة أنتوني فلو" و"دينيّة نيكولاس رايت"

-مَحْكَمَةٌ في مسألة الوحي-

الشيخ هاشم الضيقة

ماجستير فلسفة إسلامية- جامعة المصطفى العالميَّة، قم-إيران

ملخّص

الأهمية البالغة التي حَظيت بها مسألة الوحي والنبوَّة العامة، وانعكاساتها على الفكر والسلوك، بالإضافة إلى الإشكالات التي وجهها اللادينيّون إلى هذه العقيدة، دفعنا للتعرض إليها، وذلك من خلال التحليل والنقد للطرح الذي تقدم به أنطوني فلو بوصفه مُشكّكا بالوحي. ولأن الديانة التي ناقشها فلو هي المسيحيَّة، أُتيحت لنا الفرصة للتحقيق في أهم عقائدها، ومُناقشتها على أساسٍ عقليّ وتاريخيّ. ةهذه المقالة تدرس باختصار عُمدةَ الأدلة التي أقامها كلٌّ من أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد أنطوني فلو وأسقف دورهام نيكولاس رايت، وحقّقت في العقائد التي وصلا إليها، فكان الأوَّل مُمَثِّلًا لـ «اللادينيّين» والثاني مندوبًا عن الكنيسة.

وقد خَلُص البحث إلى ضرورة الوحي والنبوات، وشكّك ببعض العقائد الأساسيَّة للديانة المسيحيَّة.

الكلمات المفتاحية:

المسيح، الوحي، التَّجسُّد، الكتاب المقُدَّس، القيامة.

مُقدّمة

تنسابُ الأسئلةُ الوجوديةُ في صَقْع القوة الناطقة لدى الإنسان، لتنطلقَ محاولاتُ الإجابة عنها من كوّة العقل ذي البُعد النّوراني، وكأنّ تلك الأسئلةَ منظومةٌ متلاحِقةٌ يتّصل بعضها ببعض، ومتلاقِحةٌ يصدر أحدُها من الآخر، لتشكّل الإجاباتُ المطروحةُ هرمًا مخروطيّا رأسه المنطلَق، وقاعه في السّموّ لا حدّ له. ولا نجانبُ الصوابَ في قولنا: إنّ السّؤال عن المبدأ المفيض لهذا الوجود يتصدّرُ تلك الأسئلة، وتحتلُّ الإجابةُ عنه - بعد تجاوز أوهام السُّفُسْطائيّين - قمّةَ الهرم المعرفيّ التي ينبغي الشّروع منها. ولعلّه إذا كانت هذه الأسئلة بَدْويّةً وأوليّة في مسيرتنا العقليّة، فإنّ بعض إجاباتها المقترَحة تحكي عمّا يتربّع في قمّة عالم الوجود، ويُعدّ الغاية القصوى، والعلّة العُليا... فما هو أوّل في البحث العلميّ هو المنتهى - الذي يؤولُ إليه كلّ شيء - في الوجود الخارجيّ.

بعد السّؤال الابتدائيّ عن وجود الإله، والخلوص منه بنتيجة إيجابيّة، يتولّد منه سؤال مُلِحٌّ نعجز عن إحصاء انعكاساته على الفكر والسُّلوك، وعلى الفرد والمجتمع: هل ثمّة وحي إلهيّ؟ هل هناك اتّصال بين ذلك المبدأ الذي صدّقنا به وبيننا نحن البشر؟ هل يوجد رجالٌ أوحى الله إليهم؟ ما الطّريق للتّحقُّق من ذلك في ظرِفنا نحن الذين عبرَنا الكثير من صفحات التاريخ الغابِر؟ هي أُولى حزمات الأسئلة التي تطرقُ أذهانَنا، وتُقلقُنا بعد الإذعان بوجود الإله.

ونحن في طريقنا المعرفيّ نمشي على ذلك المِنوال، فقد وُفِّقنا في القراءة السابقة التي حملت عنوان «من الإلحاد إلى الاعتقاد»[1] لتحليل الأدلّة التي تمَسّك بها أنطوني فلو (Antony Flew) في إلحاده وكذلك أدلّة اعتقاده في ما بعد، وقد عُنِيَتْ تلك القراءة بمسألة «الإله؛ وجودًا

1 - من الإلحاد إلى الاعتقاد (دراسة تحليلية في الأسباب التي دفعت أنطوني فلو إلى الاعتقاد)، مجلة الدليل: العدد 7.

وعدمًا» أي الإجابة عن السّؤال البَدْويّ، وقد وصلنا إلى أنّه ربوبيٌّ معتقد بالإله على أساسِ أدلّة أعملنا فيها الكثيرَ من التّقويم والتّرميم. ووعدنا القارئ آنذاك أن نُفردَ قراءةً مستقلّة لتناولِ موضوع «الوحي والدِّين» عند فلو بالدّراسة والتّحليل، وهنا تكمن الإجابة عن السّؤال الثاني المُنبثِق من السّؤال الأوَّل وإجابتِه معًا.

وسوف نعتمد بشكل أساسيّ على الملحَق الثاني من كتابه «هناك إله»، حيث نقل فيه محاوراتِه مع الأسقف نيكولاس توماس رايت (N. T. Wright) حول المسيح والوحي، وذكر في مقدمته وخاتمته بعض التّعليقات والآراء.

من هنا، سينصبّ البحث على تلك المحاورات وما يحفُّ بها من مصادر مرتبطة، ونسلّط الضوء على ما ذكره الأسقف رايت وأنطوني فلو. كما نعتمد في بحثنا على الأسلوب التحليليّ، بنمطٍ يطغى عليه المنهجانِ العقليّ والتاريخيّ، وسيكون التّحليل والنّقد مبنويّا تارة وبِنائيّا أخرى. ونقصد من التّحليل والنّقدِ المبنويّين الرجوعَ إلى جذر المسألة والتأسيسَ من جديد بمعزل عن الطريقة التي سار عليها كلٌّ منهما، فإذا وصلنا إلى نتيجة مشتركة يكون النقد على مستوى الدليل فحسب، وإلا يكون شاملاً للدليل والنتيجة. ومرامنا من التّحليل والنقد البنائيّين النقاش ببعض الملازمات مع غمض النظر عن أننا نقبل الملزوم أو لا، أو التأمل في الاستظهارات من الإنجيل مع غض الطّرف عن أننا نقبله كتابًا منزّهاً عن التّحريف أو لا.

نبيّن في الفصل الأوَّل أهمّ ما ورد في الملحق الثاني من كتاب «هناك إله» الذي حمل عنوان: «الوحي الذّاتي للإله في التاريخ البشريّ: حوار مع ن. ت. رايت حول المسيح»، وبعد ذلك ننقل الكلام إلى الفصل الثاني الّذي يُشَكِّلُ عمدة البحث، حيث نشرعُ بتمحيصِ ما مرّ في الفصل الأوَّل وتحليلِه، وأخيرا نختم بحصاد النّتائج.

■ الفصل الأوَّل: الخطوطُ العامّة للحوار الدائر بين «فلو» و«رايت»

ينطلق فلو بالقول: «أنا أعتقد أن الدِّين المسيحيّ هو بوضوح أكثر الأديان استحقاقًا للاحترام والتّقدير، بغضّ النّظر عما إذا كان موقفه من الوحي الإلهيّ صادقًا» (فلو، هناك إله، 259)، وبعد مدحه للسيِّد المسيح (عليه السلام) بأنّه شخصيّة جاذبة، وثنائه على بولس بأنّه رجل فكر وفلسفة، يتطرّقُ لأمورٍ عديدة ترجع في جوهرها إلى خمس نقاط:

الأوْلى: الوحي[1] والتدخل الإلهي في العالَم

يتوقّفُ فلو في حسم هذه المسألة إثباتًا ونفيًا، حيثُ إنّه عندما مدحَ الديانةَ المسيحيَّة استثنى موقفَهـا من الوحي والتدخل الإلهي كما نلاحظ في العبـارة المنقولة في صدر الفصل، وعندما وصـل إلى تأمّلاته الختاميّة ذكر أنّ الأمر مفتـوح أمام الاعتقاد بوجود وحي مقدّس؛ معلّلاً ذلك بأنّه لا يمكن الحدّ من قدرات الإله.

الثانية: المعجزات

أخذ فلو بالدراســات النقديّة للعهد الجديد والمصادر التاريخيّة لأصول المسيحيَّة، ووجد في تلك الدّراسات ما يكفيه للتّشكيك في مصداقيَّة الوثائق التاريخيّة، ووَضْعِ علامات استفهام حول أصل وقوع المعجزات.

الثالثة والرّابعة: أصل وجود المسيح، وتجسّد الإله به

لم يُبـدِ فلـو أيَّ نظر في ما يتعلّق بالأمر الثالث واكتفى بطرح السّـؤال، وأمّا الأمر الرابع فقد صرّح بأنّه لم يعثر على أدلّة كافية تمُكّنه من المصير إليه.

الخامسة: قيامةُ المسيح[2]

يعتقدُ أنّ علماء التّاريخ بحاجة إلى أكثر بكثير مما هو متوفّر لديهم لإثبات هذه العقيدة، بل يحتاجون إلى أدلّة من سِنخ آخر دون أن يُوضِّحَ ماهيّة هذه الأدلّة. ويقدّم عدّة أمورٍ تشكّل تحدّيًا حقيقيًّا لعقيدة القيامة:

1. لا يوجد أدلة معاصرة للحدث، والوثائق التي أرَّخته كُتِبت بعده بثلاثة عقود أو أربعة.

---

1 - الوحي (The Revelation): المقصود من الوحي في كتاب «هناك إله» هو تجسّد الوحي بالمسيح (كلمة الله) (فلو، هناك إله، 223)، والسبب في ذلك أنّ الكاتب ناظر إلى العقيدة المسيحية. وفي هذه القراءة ننظر إلى روح مقصوده بمعزل عن العقيدة المسيحية ونسلط الضوء على فكرة «التّدخل التشريعيّ الإلهيّ في عالمنا».

2 - القيامة (Resurrection The): تعني - بحسـب النّسق العقدي المسيحي - عودة المسيح إلى الحياة بعد ثلاثة أيام من صلبه. يُنظر: متى: 19: 20؛ و The Resurrection of the Son of God, N.T. Wrigh

2. إن الوثائق التاريخيّة تبيّن وقوع أحداث غير اعتياديّة، من قَبيل عدم وجود الجثمان في القبر، ودعوى رؤية مريم المجدليَّة وغيرها للمسيح بعد موته... لكنّنا – والكلام لـ «فلو» – لا نملك وسيلة للتحقق من أن المسيح قد ظهر واقعًا لمن ادّعى رؤيته.

3. الأدلّة على قيامة المسيح محدودة جدًّا، ووثائق العهد الجديد عن قيامته لم تكن في الأناجيل، وتنطوي على تفاصيل حسيَّة ضئيلة جدًّا عن هذا الحدث.

بعد بيان هذه النّقاط الخمس ونظر فلو تجاهها، يَرِدُ طاولةَ الحوار مع الأسقف رايت الذي ينهج منهجًا تاريخيًا، وحوارهما هذا محصور في محاور ثلاثة:

■ المحور الأوَّل: كيف نَعرف أن المسيح قد وُجِد؟

أحقًّا وُجِد المسيح؟ أم أنّ حياته أسطورة خرافيَّة كأوزريس وأدنيس وغيرهما؟

يجيب الأسقف رايت بأنّ الأدلّة على وجود المسيح متراكمة وتشير إلى وجود شخصه بنحو مُؤكّد في العشرينات إلى الثلاثينات من القرن الأوَّل، وهي متّسقة مع ما نعرفه عن اليهوديَّة في تلك الحقبة، لذا من الصّعب على أيّ باحث تاريخيّ أن يُشكّك في ذلك سوى القلّة في القرن الأخير. هنا ينتهي كلام رايت، من دون أن يدخل في جدال مع المشكّكين بأصل وجود المسيح... والنّتيجة هي: بداهة وجوده.

■ المحور الثاني: ما أُسُس الادِّعاء من النصوص بأنّ المسيح هو الإله المتُجسِّد؟

إيمان الأسقف رايت بالمسيح كابنٍ لله لا يستند إلى نصوص الإنجيل، بل إلى كيفيَّة فهم يهود القرن الأوَّل للإله وفعله في العالم، ويمُكنُنا أن نصوغ الاستدلال بهذه الكيفيَّة:

المقدمة الأوْلى: فهِمَ يهودُ القرنِ الأوَّل الإلهَ وفعلَه من خلالِ المزامير، وسفر أشعيا وغيرهما.

المقدّمة الثانية: سلكوا طُرقًا خمسة في فهم الإله وفعله، وهي: الكلمة، والحكمة، والمجد، والناموس، والروح.

المقدمة الثالثة: إذا راجعنا سيرة يسوع نجدُه شخصًا جسّد تلك الطّرق الخمسة؛ وذلك لأن:

1. الزارع يزرع الكلمة (العلم)؛ ويسوع هو الذي يقوم بعملية التّعليم، فحقَّ أن يكون الكلمة.

2. كان يقول المسيح «أنا أفعل هذا»، ويقول أيضا: «كلُّ من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها،

أشبِّهُه برجل عاقل»، وهذا يعني أنّ «الحكمة» و«يسوع» متلازمان في فعله وقوله.

3. كان يقول «مغفور لك خطاياك»، وتستطيع أن تُقدِّم أضحية في الشارع عندما تكون مع يسوع، وهذا يعني أنه كان يتصرّف كما لو كان الهيكل (المجد) قد تجسّد فيه.

4. كان يقول: «لقد سمعتم أنه قيل: كذا وكذا، وأما أنا فأقول لكم: هذا وهذا»، وهو ما يدلّ على أنّه قدّم ناموسًا جديدًا.

5. أخيرًا الروح، يقول يسوع: «ولكن إنْ كنتُ أنا بروحِ الله أُخرِجُ الشياطين، فقد أقبلَ عليكم ملكوتُ الله!».

يستنتج رايت من تلك المقدمات أنّ يسوعَ هو المُجسِّد لإله إسرائيل النّبيّ. ويعطفُ على ما تقدّم أنّ يسوع كان يعمل على أساس تجسيد عودة إله إسرائيل إلى شَعبه، ثمّ ذكر إشكالاً على دعواه تلك: قد يكون يسوع نظر إلى نفسه على هذا النحو، وكذلك تلاميذه. ولكن من الواضح أنَّ المسيح كان مخطئا؛ وذلك إمّا لأننا نعلم مسبَّقًا إذا كان هناك إلهٌ فلن يكونَ إنسانا، وإما لِكونِنا نعلم من قبل أنّ من يعتقدُ نفسَه كذلك فهو مجنون أو مختلّ أو مخدوع. ويُجيب الأسقف: علّقوا هذه القبليَّات للحظة، واستحضروا صورة يهود القرن الأوَّل.

هنا أنهى الأسقف رايت كلامه حول السّؤال الثاني. ولننتقل إلى السّؤال الثالث الأهمّ، والأخير.

■ المحورُ الثّالث: ما الأدلة المتوفّرة على قيامة يسوع؟

لم يكن الاعتقاد بالقيامة موجودًا عند اليونان والرومان، ولكنّ اليهود طَوّروا اعتقادًا لاهوتيًّا عن القيامة مُفاده «أنَّ شعب الإله سوف يُبعث في آخر الزمان جسديًّا إلى الحياة بعد الموت» ويحدث ذلك في مرحلتين: الأوْلى هي الانتظار، ومن ثَمّ حياة جديدة أي (القيامة).

آمن الفرِّيسيون بالقيامة، وأما الصّدوقيون فلا، بل لم يعتقدوا بالحياة بعد الموت على الإطلاق، بعد ذلك يتتبع الأسقف تحولات هذه العقيدة على النحو التّالي:

1. ذهب المسيحيّون الأوائل إلى أنّ القيامة في البداية تختصّ برجل واحد.

2. اعتقد المسيحيون الأوائل أنّ القيامة تنطوي على جسد من نحو آخر، لا يحس بالألم والمعاناة والموت. وأمّا اليهود فذهبوا مذهبين؛ أوّلهما: إنَّ القيامة تخلق جسدًا مشابهًا لما نحن عليه اليوم. وأمّا الثاني: فاعتقد بأنّ جسدنا عند القيامة نورانيّ.

3. اعتقد المسيحيون الأوائل أنَّ يسوع قد بُعِث بعد موته، وكذلك يهود الهيكل الثاني.
4. في المسيحيَّة المبكّرة (بولس) نجد ربط فكرة القيامة بالتعميد والقداسة.
5. جاءت القيامة عند المسيحيين الأوائل كما لو كانت شيئًا ما تجلَّى الإله من خلاله للبشر، والمسيحيون مدعوّون للعمل مع الإله لتحقيق ما انطلق في القيامة (يوم الفصح).
6. انتقلت عقيدة القيامة في المسيحيَّة المبكّرة (Early Christianity) من عقيدة مهمّة إلى عقيدة مركزيّة (كورنثس 15: 14-19). فإذا اقتطعتها من بولس أو بطرس أو آباء القرن الثاني ستجد أنّك دمرت بناءهم الفكريّ.
7. في بواكير المسيحيَّة نجد شيئًا واحدًا مرتبطًا بما بعد الموت وهو القيامة. لقد أجمع المسيحيّون الأوائل على هذه العقيدة بل على كيفيَّة حصولها، بالرغم من اختلافهم في الكثير من العقائد الأخرى.

بعد ذلك، يدخل الأسقف في بحث لطيف، يقول: إذا كانت فكرة القيامة قد ظهرت بعد عقدين أو ثلاثة من بداية المسيحيَّة كما يدعي بعضُ المشكّكين، فإننا سنعثر على العديد من الشواهد التي تنفي فكرة القيامة في بواكير المسيحيَّة، وإذا وجدت شواهد مؤيدة للقيامة فسيكون شكلها مغايرًا. لذلك فإنّ إجماع المسيحيّين الأوائل على عقيدة القيامة يدفعنا للقول: بأنّ شيئًا ما قد حدث مما أدّى إلى صبغ التحرك المسيحيّ كلِّه.

ثمّ يطرح الأسقف سؤالاً في غاية الأهميّة: لقد كُتِبت الأناجيل والإصحاحات التي تحدّثت عن حياة المسيح والقيامة بعد فترة طويلة، أقلهُّا عقدان وأكثرها تسعة عقود، ثمّ يقول: «ولكن فيما يخصّ حجّتي، هذا الأمر]أي تأخر التدوين[لا يعني شيئًا على الإطلاق» (فلو، هناك إله، 281).

يتحدّث رايت عن الخصائص المشتركة لقَصَص القيامة في الأناجيل الأربعة، فرغم كتابتها في المراحل المتأخّرة إلا أنّها لم تتعرّض إلى تحريف بنحو أساسيّ في نظره:

الخاصية الأوْلى: صورة يسوع في قصة القيامة

1. كُتِب إنجيل مرقس أولاً، ومن الصعب أن تجد فيه شيئًا عن القيامة.
2. لم يحتوِ إنجيل متى – الذي تلا إنجيل مرقس – على الكثير حول القيامة.
3. مع نهاية القرن ظهر إنجيلا لوقا ويوحنا، وعندها فقط وجدنا قصصَ أكل يسوع للسمك المشويّ، وغيرها من القصص الجديدة.

هنا نجد أنفسنا أمام وجهتَي نظر:

أولا: في هذه الحقبة اعتقد النّاسُ بأنّ المسيح لم يكن إنسانًا بحقّ، ولذا ألف لوقا ويوحنا ما ألّفاه من قصص غريبة لنسف هذا الاعتقاد.

ثانيا: إن كنت يهوديًّا في القرن الأوّل وأردت أن تَحبُكَ قصة عن المسيح الذي بُعث بعد موته، فالمصدر الطبيعيّ سيكون الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال الذي يقول بأنّ الصالحين سوف يلمعون مثل النجوم في مملكة الأب. والمثير أنّ يسوع لم يكن يظهر كنجم يلمع في أيٍّ من روايات القيامة فيما لو كانوا قد حبكوا هذه القصص (المصدر السابق، ص286).

لذا من خلال وجهتَي النظر المذكورتين، تبدو صورة يسوع في قصص القيامة غريبة جدًّا، فهي صورة ليست كما تتوقّعها، ومخالفة لما هو موجود في القصص اليهوديَّة في ذلك الزمان.

الخاصية الثانية: هناك غياب شبه كامل لقصص القيامة في العهد القديم، وبولس كان لديه في أوائل الخمسينيَّات من القرن الأوَّل مستودعًا غنيًّا من نصوص العهد القديم التي من خلالها فسر القيامة. ومتّى الذي عاش يحكي عن تحقق نبوءات النص، لم يقل: إنّ القيامة قد حدثت تحقيقًا لنبوءة النص الذي يقول بأنّ المسيح بُعث بعد موته.

هذا أمر غريب! ومن ثَمَّ إمّا أنْ نقول: إنّ الكنيسة الأوْلى هي التي كتبت قصة القيامة على غرار ما ورد في العهد القديم، أو إنّها تعود إلى حقبة قديمة جدًّا في النقل الشفهيّ التي سبقت التأمل اللاهوتي والتّفسيريّ. وفي تقدير الأسقف رايت إنّ القول الثاني أرجح بدرجة كبيرة.

الخاصية الثالثة: لم يذكر بولس في شواهده النساءَ؛ لأنّه في بداية الخمسينيَّات من القرن الأوّل لم تكن التقاليد تسمح بوضعهنَّ في الحسبان. والمدهش أنّنا نجد في الأناجيل الأربعة ذكرًا لمريم المجدليَّة وسائر المريمات ونساء غيرهن، ويعلق رايت: لو كانت هذه القصص قد اختُلقت بعد خمس سنوات ناهيك عن ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة، ما كان لمريم المجدليَّة أنْ تلعب فيها هذا الدور. من هنا سيكون إدخالُها ذا قيمة كبيرة؛ إذ لا يمكن للمسيحيِّين الأوائل أنْ يختلقوا ذلك بسبب ما تقتضيه التّقاليد آنذاك.

ويردف الأسقف قائلاً: إنّ القصص التي تتحدث عن عثور النسوة على قبر خال، ثم بعد ذلك يلتقين بيسوع المبعوث، يجبُ التعامل معها على أنها صحيحة تاريخيًّا.

الخاصية الرابعة: يميل المبشرون في حديثهم عن قيامة يسوع إلى التبشير عن قيامتنا نحن وذهابنا إلى السماء، فإنّ يسوع قد بُعث، لذا سوفَ نُبعث.

يستنتج رايت أنّ الكنيسة المبكرة كانت تعتقد بالفعل بأنّ يسوع بُعث جسديًّا من ميت. لقد اكتشف كباحث تاريخي شيئين من المؤكد حدوثهما بنظره:

أولهما: هناك قبر خال، وهو القبر الصحيح ولا يمكن أن يكون خطأ.

ثانيهما: هناك ظهور متكرر ليسوع المبعوث.

ويتساءل: ألا يُحتمل أنْ يكون الجسد قد سُرق؟ ألا يمكن أنْ يكون تلامذته الذين ادّعوا رؤيته قد كانوا منغمسين في حالة من الهلوسة أو الرؤى؟

ثمّ يجيب: مع ضمّ كلٍّ من الأمرين المتقدّمين إلى بعضهما بعضًا، تنتفي احتمالية سرقة الجسد. وبما أنّهم يعرفون جيِّدًا الهَلْوسة والرّؤى لن يخلطوا بينها وبين الواقع.

أخيرا: كيف يمكننا كمؤرّخين تفسير تلك الحقيقتَين (القبر الخالي والظهور المتكرر)؟

التّفسير الأسهل بنظره هو أنّ يسوع قد بعث من جسد ميّت، ربما هذا الطريق الأفضل لفهم ظاهرة أنَّ يسوع الآن يعيش فينا في بُعد إلهيّ. فبَعد اختبار كل الفرضيات يعتقد أنَّ القيامة ليست تفسيراً ممكنًا فحسب، بل ضروريٌّ.

وبعد هذا المخاض يعود فلو إلى النّقطة التي انطلق منها من دون أن تدفعَه حججُ الأسقف رايت خطوة إلى الأمام، فيبقى على لاأدريّته في ما يخصّ كلّ نقطة من النّقاط الخمس، كما يُبقِي أصل فكرة الوحي المقدّس في حيِّز الإمكان.

هذا تطواف على أهم ما ورد في ذلك الحوار اللاهوتيّ، وإليك أسئلة لابدّ منها في المقام:

- ما طبيعة الأدلّة التي ينبغي اللجوء إليها في كلّ واحدة من النّقاط الخمس؟
- من أين نبدأ بالبحث عن الحقيقة؟ وما الأدلّة التّي نقدّمها نحن؟ وإلى أين تقودنا؟
- ما قيمة الأدلّة والنتائج التي قدَّمها ووصل إليها كلٌّ من رايت وفلو؟
- ما أبرز الإشكالات البنائيّة التي نسجّلها على كلٍّ منهما؟

هذه الأسئلة نعالجها في الفصل الآتي ضمن محورين؛ أوّلهما ذو طابع مبنويّ تأسيسيّ وثانيهما بنائيّ.

■ الفصل الثاني: تحليلٌ ونقد

حتى هذا الموضع من البحث تَبَيَّنَ موقفُ رايت وفلو إزاء النّقاط الخمس، وسنقوم في ما

يأتي بتنظيم تلك الأفكار وربطها ببعضها كنَسَق متّسق، وتمهيدِها للتّحليل:

أوّلا - أصل وجود يسوع: تُطلق هذه المسألة بمعنيين؛ الأوّل: أن يكون المراد من يسوع مجرَّد شخص موجود في التّاريخ بقطع النّظر عن صفاته الخاصَّة التي تذكرها المسيحيَّة وسائر الديانات السماويَّة. والثاني: أنْ يكون المقصود منه ذلك الشخص ذو الصّفات الخاصَّة التي تضفيها عليه المسيحيَّة. فبناء على المعنى الأوَّل تُعدّ هذه المسألة أولى ما ينبغي البَدْءُ به، وأمّا على المعنى الثاني فإنّ حسمها منوطٌ بالنّقاط اللاحقة أو ببعضها على الأقل.

ثانيا - الوحي: بعد إثبات وجود المسيح لابدّ من الحديث عن الوحي تمهيدًا للكلام على كون الإنجيل مقدَّسًا. وتجدر الإشارة إلى أنّ المقصود من الوحي هنا هو التّدخل الإلهيّ في التّدوين.

ثالثا - الكتاب المقدس[1] والمعجزات: بعد الإيمان بالوحي، تأتي النوبة للإيمان بالكتاب المقدّس؛ إذ لو لم يكن الوحي ضروريًّا ولا ممكنًا لما كان هناك وجهٌ لقداسة الكتاب.

رابعا - ألوهيّة يسوع: إنّ من يناقش في ألوهية يسوع ويبتغي الوصول إلى نتيجة إيجابيّة عليه أنْ يؤمن بادئ ذي بدء بالكتاب المقدَّس بوصفه وحيًا سماويًّا؛ إذ لو كان الباحث يحتمل طريقًا موصِلاً إلى هذه العقيدة فسيجده فيه[2].

خامسا - القيامة: بعد الحديث عن يسوع، والوحي، والكتاب المقدّس، وألوهيّة يسوع، تأتي النّوبة للقيامة كمعجزة وعقيدة مركزيّة في المسيحيَّة.

■ المحور الأوَّل: التّحليل والنّقد المبنويَّان

في التأسيس المعرفيّ لبحثنا لابدّ أن نشرع من عدّة ركائز:

1. أليست طبيعة المسألة التي نجعلُها موردًا للبحث هي الميزان في تحديد منهج علاجِها ونوع أدلّتها التي يتعيّن على الباحث الموضوعيّ اللجوءُ إليها لاجمًا نفسه عمَّا تميل إليه عواطفُه؟! أليس من العبث أن نستدلَّ على قضيَّة ميتافيزيقيّة بمنهج تجريبيّ محض؟! أليس من الغلط الذي

1 - الكتاب المقدّس (The Holy Bible) هو مجموعة الكتب الموحاة من الله لمشتملة على عهدين: عهد قديم وعهد جديد.

2 - لمزيد من الاطلاع، راجع: ماكدويل ولارسون، حقيقة لاهوت يسوع المسيح، ص10؛ الشيخ، لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام، ص111

لا يُغتفر أنْ نتعامل مع المسألة التاريخيّة - من حيث كونها تاريخيّة - بالأدلة العقليّة؟!

لطالما تمّ التّأكيد على ضرورة صيانة النّطاق المعرفيّ للمسألة والحفاظ عليه، ورعاية ذلك في استخدام الدّليل الملائم.

2. من الأسئلة المهمّة التي ينبغي طرحها على أنفسنا عندما تواجهنا مسألةٌ ما: هل نحتاج إلى يقين منطقي بالإثبات والنّفي؟ أم أنّه يكفي جمع الأدلّة والقرائن المفيدة للاطمئنان بأحد الطّرفين؟

إذا كانت المسألة تنتمي إلى دائرة العقل فنعتقدُ بضرورة تحقيق اليقين بالمعنى الأخصّ للتّسليم بها، وأمّا إذا كانت من المسائل ذات الطّابع التّاريخيّ فلا نحتاج إلى ذلك النوع من اليقين، وإنّما يكفينا اليقين الاستقرائيّ، أو قُل: الاطمئنان الناتج من تجميع القرائن وتراكم الاحتمالات.

3. عندما يثبت في التّاريخ حدثٌ ما، أو نصل إلى نصّ سلَّمنا بقداسته، وأردنا تفسيرهما، يتوجّب علينا ألاَّ ننتهي إلى أحدِ أمرين: الفرضيّة المتناقضة، والفرضية الأبعد.

4. التصنيف المعرفيّ للنّقاط الخمس المتقدّمة:

أ. منها ما هو عقلي، ويشمل: الوحي، والمعجزات، وألوهيَّة المسيح، والقيامة. نتناولها جميعًا من حيثُ الإمكانُ أو الضرورةُ أو الامتناعُ.

ب. ومنها ما هو تاريخيّ، ويشمل: وجود المسيح، الوحي، المعجزات، والقيامة. نتناولها من حيثيّة الوقوع والتّحقّق في التّاريخ، ويمُكن أنْ نلحق بهذا الصّنف مسألة قداسة الكتاب، باعتباره في حدّ ذاته كتابًا ذا بُعد تاريخيّ.

النّقطة الأوْلى: أصل وجود شخصيّة المسيح في التاريخ

من الواضحِ أنّ قضيَّة مثل هذه لن يكون دليلها - المثبِت أو النّافي - عقليًّا، وإنّما الكلمة الفَصْل فيها لكُتب التاريخ وما يرتبط بها من وثائق للمؤرخين ورسائل قديمة معتبرة. وإليكَ أهمَّ قرائن الإثبات:

القرينة الأوْلى: ما ورد في العهد الجديد، سواء في الأناجيل الأربعة أم في الرسائل والمخطوطات المعزوَّة إلى الكَتَبة [أعمال الرسل: 3: 12-26]، هي - في الجملة - مُتخَمة بالأدلّة على وجود شخصِ المسيح في التّاريخ، ومملوءة بالشّواهد الدّاحضة لفرضيّة أسطوريّته. هذا،

وتجدر الإشــارة إلى أنّ الوثائقَ المذكورةَ ترجع إلى القرن الأوَّل والثاني الميلاديَّين، إلا أنّها تُعد قرينة (داخل- دينيّة). وبإمكاننا أن نُضيف إلى هذه القرينة تضحيةَ بعض الأساقفة المرموقين في القرن الأوَّل قربانًا للمسيح، كإغناطيوس الإنطاكيّ. (لمزيد من الاطّلاع: الآباء الرساليون: رسائل إغناطيوس الإنطاكي، ج2، ص60).

القرينة الثانية: الوثائق التاريخيّة لمؤرّخين غير مسـيحيّين؛ كالمؤرخَين الرومانيَّين يوسيفوس فلافيـوس (37-100م) في شـهادته المعروفـة بـــ «الشـهادة الفلافيـة» (The Testimonium Flavianum)[1]، وكورنِليوس تاسيتُس (56-120م) (Tacitus, Annales, LIBER XV, chapter 44) ، والمؤرّخ اليونانيّ لوسيان الساموساطي (125-180م) (Lucian, the Death of Peregrine, 11-13)، أضف إلى أولئك المؤرخين وثيقة تعود إلى بلينوس الصغير (62-114م) (اليسـوعي، يسوع المسيح: شخصيته-تعاليمه، ص14). وتُعدّ هذه القرينة تاريخيّة (خارج-دينيّة).

القرينة الثّالثة: النّصوص المرتبطة بالمسيح في الأدب الحاخامي، وأهمّها في التّلمود البابلي[2]، ولا تكمُـن قيمة هـذه القرينة في كونهـا (خارج-دينيّة) فحسـب، بل في صدورهـا من خصوم المسيحيّين آنذاك. (شيفر، يسوع في التلمود: المسيحيَّة المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي، ص9 و163).

القرينة الرّابعة: تعرّض القرآن الكريم لذكر المسـيح وعدّه رسولاً عظيمًا من رسل الله[3]، وأقرّ وجودَه نبيُّ الإسـلام (ص) والأئمة الّذين يعتقدُ الشِّـيعة بعصمتهـم. (الكليني، الكافي، ج15، ص318؛ ج2، ص22؛ ج15، ص284).

تأمّلات في القرائن:

---

1 - يُنظَـر: The Antiquities of the Jews by Flavius Josephus, book 18, chapter 3, paragraph 3/ 63-64-book 20, chapter 9, paragraph 1/ book 18 paragraph.

2 - يُنظَر: التلمود البابلي، سنهدرين a43، وسنهدرين b107. وقد ذُكر في مواضع عديدة باسم يسوع، ووردت ألقاب أخرى ادّعى بعض الباحثين أنّها تشير إليه.

3 - يُنظَـر: النسـاء:171 والصـف: 6؛ والآيـات القرآنية التي تحدّثت عن المسـيح أكثر مـن أن يجمعها هذا المختصر، وللمزيد راجع: لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام، ص255 و269، وأيضًا المسيح بن مريم في القرآن الكريم لأحمد طه.

يقرُّ العديد من الباحثين بوقوع التحريف في العهد الجديد، ولكن في الوقت نفسه يعترفون بأنّه يتضمَّن أمورًا صحيحة، أضف إلى ذلك احتواءَ العهد الجديد على كمّ هائل من الشواهد التي تدلّ على أنّ المسيح حقيقةٌ لا مجرَّد أسطورة. من هنا، إذا جمعنا هذين الأمرين سيصبح احتمال التّحريف بلحاظ المسألة مورد البحث ضعيفًا، ومن ثَمَّ ستكون القرينة الأوْلى تامّة إلى حدٍّ ما، وأمّا عند مَن يعتقد بالوحي الكتابيّ فالأمر سهل بالنّسبة إليه وسيكون العهد الجديد بنفسه كافيًا لإقناعه بوجود المسيح والقرينة الأوْلى - عنده - تامّة ومُرضية. وأمّا القرينة الثانية فقد يُقال باحتمال تطرّق الوَضْعِ لهذه المصادر التّاريخيّة والدّسّ فيها من قبل المسيحيّين أنفسهم، وهذا ما يحتاج منّا دراسة مفصّلة في تلك المصادر ومخطوطاتها الأصليّة، وقبل تحقيقنا ستكون هذه القرينة معلّقة بالنّسبة إلينا، اللهم إلاَّ إذا لحظناها ضِمن القرائن الأخرى، أو إذا أخذنا بالتّحقيق الذي قدّمه روبرت فان فورست (Robert E. Van Voorst) في كتابه القيِّم «يسوع المسيح خارج العهد الجديد» (فورست، يسوع المسيح خارج العهد الجديد، من ص99 إلى ص121). عندئذٍ لا مناص من التسليم بقيمة ما لهذه القرينة وإنْ كانت ضئيلة. وأمّا القرينة الثالثة فتستمدّ قيمتها من نكتتين؛ إحداهما: كونها مستقاةً من خصوم المسيحيَّة، بل ألدّ أعدائها، وثانيتهما: توظيف الحاخامات بعض الأحداث الحقيقيَّة ضد المسيح، كتفسير معجزاته بالشّعوذة ونعته بالسّاحر، وهذان مرجّحان كيفيّان يمنحان القرينة الثّالثة قيمة إضافيّة لتكون شاهدًا معتدًّا به على الإثبات. والقرينة الأخيرة هي أقوى القرائن - بل هي وافية كافية - عند المسلمين؛ أي عند من يعتقد بإعجاز القرآن وصَونه عن التّحريف معًا؛ إذ إنّ الكتاب الذي نزل على النّبيّ محمد (ص) لا يذكر ما يخالف الواقع، ومقطوع بعدم تحريف النّسخة التي بين ظهرانينا. ومن اللائق التّنبيه على أنّ كلّ قرينة من هذه القرائن، تحتاج في حدّ ذاتها إلى دراسة شاملة.

وجهة نظر مختلفة:

بما أنّنا استعرضنا أهمّ القرائن المُثبِتة لوجود المسيح، ليس من الإنصاف اختزالُ ما يدّعى كونه قرينة على أنّه شخصية أسطوريّة، ففي النّصف الثاني من القرن المنصرم انطلقت بعض المؤلَّفات محاولةً تقديم تفسير عن المسيح مستندة في ذلك إلى مخطوطات البحر الميت التي عُثر عليها في منطقة قمران، وأدّت في سبعينيَّات القرن المنصرم إلى وقوع معركة آراء كثيرة حول نقاط عديدة مرتبطة باليهوديَّة والمسيحيَّة، وفي ما يتّصل بمسألتنا أسفرت عن كتاب (الفِطر

المُقدَّس والصَّليب) لـ جون آليغرو (John M. Allegro) الذي ذهب إلى أنّ المسيحيَّة الأوْلى كانت من طوائف الخصْب، وتمركزت على فطر الهلوسة، لا على شخصيَّة مسيحٍ تاريخيّ (The Meaning of the Dead Sea Scrolls, James VanderKam and Peter Flint, p.325). ولدينا العديد من الشّواهد التي تدحض - أو قل: تبعدُ - هذه الفرضية:

1. نشوء إجماع بين الباحثين على أنّ معظم هذه المخطوطات قد كُتب بين القرن الثالث والقرن الأوَّل قبل الميلاد، واختبار الكربون المشـعّ يؤكّد ذلك (يسـوع المسـيح خارج العهد الجديد، ص93 و98)، ومعنى هذا أنّه لا علاقة لها بالمسيح والمسيحيَّة الأوْلى.

2. تعدُّد تفسـيرات المخطوطات المذكورة وجدليَّتها، بل تباينها (يسوع المسيح خارج العهد الجديد، ص 94-95).

3. لم تأتِ مخطوطات البحر الميت على ذكر يسـوع صراحة (يسـوع المسـيح خارج العهد الجديد، ص 151).

4. النادر من مفسري تلك المخطوطات اعتقد بأنَّ المسـيح شخصية أسطوريّة، وهذا ما أشار إليه الأسقف رايت في حواره مع فلو (فلو، هناك إله، 262-263).

5. الالتفات إلى القرائن المتقدّمة المُثبِتة لشخصيّة المسيح تاريخيًّا.

أَخْذُ هذه الشواهد بالجملة يضعِّف من القيمة المعرفيّة للفرضية التي ذكرها آليغرو.

وأمّا المؤرخ الإنجليزي جورج ألبرت ويلز (G. A. Wells) فقد شكّك في بواكير كُتُبِه (The Jesus of these earliest Christians, G. A. WELLS (1971) Did Jesus exist? Revised Edition, G. A. WELLS (1975), p.229 (conclusion, finally)) بالوجود التّاريخيّ لشخصيّة المسيح ومال إلى كونه أسطورة، لكنه ما لبث أن تراجع عن تلك الفكرة في ما بعد (Can We Trust the New Testament? Thought on the Reliability of Early Christian Testimony, George Albert p. 49-50.) ولن ندخل هنا في تقصّي أدلّة ويلز ونظرائه من المشـكّكين مثل آرثر درويز (Arthur Drews) في كتابه (المسـيح الأسطورة) The Christ Myth, Arthur Drews, p.161 (THE RELIGIOUS PROBLEM OF THE PRESENT).

وهكـذا، بعد تماميّة القرائن على وجود المسـيح، وعدم عثورنا على قرائـن مُعتبرَة تُفيد أنّه

مجرَّد أسطورة، نصل إلى نتيجة إيجابيّة بالنّسبة إلى المسألة ونستطيع القول: المسيح ليس مجرَّد شخصيَّة خرافيّة، بل نطمئنّ بوجوده في تاريخ الإنسانيَّة.

كما نلاحظ، لقد خلصنا - بناءً على هذا التأسيس - إلى نتيجة مشتركة مع رايت، إلا أنّه بمقدار ما ذَكَر في كتاب «هناك إله» لم يُجِب الأسقف عن السؤال الأوَّل إجابةً مُحكَمةً، بل اكتفى بنمط خطابيٍّ لا نعتقد بأنّه مقنعٌ بالنّسبة لأنطوني فلو وأمثاله من الباحثين عن الحقيقة! نعم، قد يُعتَذَر للأسقف أنّه في مقام الاختصار لذا اكتفى بالإشارة إلى الاتّساق بين ما هو متوفر لديهم من أدلّة وما هو متوفر لدى اليهود، وعدَّ هذا الاتّساق قرينة على وجود المسيح (فلو، هناك إله، 262).

ونستخلص مما تقدّم أنّ هذه النّقطة لم تكن مجرَّد تَرفٍ بحثيّ كما أنّها ليست بالبساطة التي أبرزها رايت في إجابته، فقد شكّلت محوراً لتّمحيصٍ العديد من الباحثين... وعلى كلٍّ فإنّ خلوصنا بنتيجة إيجابيّة هو في الحقيقة خطوة الألف ميل في بحثنا هذا؛ إذ إنَّ قضيَّة الوحي والدِّين عامَّة تُعدّ لازمًا أعمّ لوجوده الحقيقيّ في التّاريخ.

النّقطة الثانية: الوحي المُقدّس

لن ندخل في الاستدلال على هذه النّقطة بمفهومها الكنسي «الوحي الكتابيّ»، وإنّما سنعبر من بوّابة واسعة تنسجم مع تأصيلنا المعرفيّ للبحث. هذا، وعندما نقول من البوابة الواسعة نقصد البحث عن أصل وجود منبع ومصدرٍ آخر غير (الحسِّ) و(العقل) نعرف من خلاله الحقائقَ الوجوديّةَ والتّشريعيةَ عن طريق التعليمِ الإلهيّ وهو ما يُسمَّى بـ (الوحي)، ولعل أفضل تشبيه يقرّب هذا المعنى هو «السفارة الإلهيَّة بين البشريَّة»، وسنتعرّض لذلك من جهتين:

أ. من الجهة العقليّة:

إنّ تناول المسألة من حيثيّة عقليّة يعني في العمق السّؤال عن المادّة الواقعيَّة لقضيَّة (وقوع الوحي)، فهل هي الضّرورة أم الإمكان أم الامتناع؟

طرح العلماء أدلة عدّة مؤسَّسة على مبان كثيرة لإثبات ضرورة الوحي، فقدَّم المتكلمون الإماميَّة والمعتزلة - بعيدًا عن الأشاعرة - دليلًا يقوم على (قاعدة اللُّطف)، وطرح الحكماء برهانًا تعدَّدت تقريراته، إلاّ أنّ أشهرَها ما ذكره ابنُ سينا والفارابي من قَبْلِه.

تقرير برهان الحكماء:

المقدمة الأوْلى: الإنسان محتاج في تعايشه إلى اجتماع مؤدٍّ إلى صلاح حاله؛ وإلا تعسّر عيشه، وهذا مرامهم من «الإنسان مدني بالطبع».

المقدمــة الثانية: الاجتماع على التعـاون لا ينتظم إلاَّ بمعاملة وعــدل، والمعاملة لابدّ لها من شريعة؛ وإلا لزم الهَرَجُ والمَرَجُ واختلالُ النّظام.

المقدمة الثالثة: الشريعة لابد لها من شارع يمتاز باستحقاق الطاعة، وإنما يتقرر هذا بآيات تدل على أنّ الشريعة من عند ربه. فلابد من شارع وهو نبي ذو معجزة.

ثمّ يُضيف الحكماء مقدمة رابعة لضمان إجراء القانون وهي: الوعد بالثواب للملتزمين والوعيد بالعقاب للمخالفين، وضرورة وضع نظام عبادات للالتفات إلى مبدأ التّشريع.

مــن هنا، عالم الوجود من دون نبــيّ لا يصل إلى كماله وتضيع المصالح، ولذا قُدّر في العناية الأزليّة وجوب وجوده، أيْ ضرورة الوحي المساوق للنّبوة العامَّة، غاية الأمر أنّه واجب عن الله لا على الله.

بعض التأمّلات في برهان الحكماء:

اتّضــح أنّ عمــدة الدليل هــي المقدِّمات الثـلاث الأوْلى، وأمّا الرابعة فقــد ذكرناها تتميمًا لبرهانهم. وفي ما يتعلّق بالمقدمة الأوْلى فعلى الرغم من الاختلاف في تفسـير القول المنسوب إلى لمعلم الأوَّل «الإنســان مدني بالطبع» إلا أنّنا لا نجد غضاضةً في التسـليم بها حتى لو كان المــراد منها مجرَّد الاحتيــاج في أمور المعاش كما ذكــر المحقّق الفريد نصـير الدِّين الطوسي (الطوسي، شرح الإشارات، ج3، ص1035)، أو كان المراد منها مدنيًّا بالطبع الثاني لا الأوَّل كما هــو مذهب العلامة الطَّباطبائيّ (الطَّباطبائيّ، الميــزان، ج10، ص249). فهذا مما لا يضرّ بأصل البرهان.

ويظهر من ابن سـينا والمحقق الطوسي أنّ عيش الإنســان بعيدًا عن الاجتماع متعسّرٌ، وأما صدر المتألّهين فقد ذهب إلى تعذر ذلك؛ قال: «إنَّ الإنسان غير مكتفٍ بذاته في الوجود والبقاء لأنَّ نوعه لم ينحصر في شخصه فلا يعيش في الدنيا إلاَّ بتمدُّن واجتماعٍ وتعاون فلا يمكن وجوده بالانفراد» (الشيرازي، الشواهد الرُّبوبيّة، ص359-460).

وهل الاحتياج مادِّيٌّ فقط أم يشمل البُعد المعنويّ أيضًا؟ يظهر ممّا ذكر في البرهان التركيز على البعد المادِّيّ للإنسان، مع أنّ للبعد المعنوي أهمّيةً بالغة في ما يخصّ مسألتنا.

كما أنّه في المقدمة الثالثة كان ناظرًا إلى الجانب التنفيذي، إلاّ أنّ الحاجة التقنينيّة لا تقلّ أهمّية.

وعلى أيّ حال، سيبقى هذا البرهان أقوى بكثير ممّا ذكره الأسقف رايت.

ب. من الجهة التاريخيّة:

بعد إثبات الضرورة العقليّة للوحي والنبوَّة العامّة، ننتقل إلى البحث في ثنايا التاريخ عن المصداق الموحى إليه، أي عن موطن اتّصال الغيب بالشّهادة... لقد ذكرنا في استدلال الحكماء أنّه لابدّ من آية واضحة وعلامة دامغة تُثبت اتّصال إنسان خاصّ بالإله، فهل من دليل تاريخيّ يقرّر ذلك بالنّسبة إلى المسيح؟

1. المعجزات:

أ. تنقل الأناجيل (مرقس: 1: 40-45 و2: 1-12؛ متى: 9: 27-31)، وكتب التاريخ عن الأحداث الخارقة للعادة التي كان يقوم بها يسوع[1].

ب. كما أنّ كتب اليهود أقرّت بذلك ووصفته على إثرها بالساحر (التلمود البابلي، سنهدرين 43a؛ واليسوعي، يسوع المسيح، ج1، ص12).

2. التبشير به: لقد بشّر التوراة بالمسيح، وورد في العهد القديم ما ينبئ بقدومه وبعض أوصافه (تثنية الاشتراع: 18: 15-16).

3. فحوى ما جاء به المسيح: من القرائن التي تشير إلى اتِّصال يسوع بالسماء هي مضامين ما تكلم به.

4. حديث القرآن عنه: نقل القرآن الكريم قصصًا عديدة عن المسيح، وأخبرنا أنّه كان رسولاً من رسل الله العظام، وحدّثنا عن المعجزات الكثيرة (آل عمران: 49؛ المائدة: 110).

---

1 - قال يوسيفوس فلافيوس في (Antiquities 18.3.3) ما ترجمته: «كان في ذلك الوقت رجل حكيم اسمه يسوع، لو كان لنا أن ندعوه رجلاً، لأنّه كان يصنع العجائب».

تأملات في القرائن:

كما ذكرنا في النقطة الأوْلى، سيكون الإيمان بالمعجزات - التي تُعدُّ آية على تحقّق الوحي - عن طريق كتب يحتمل طروء الوضع والدّس إليها أمرًا ممكنًا ولكنه معضلٌ يستدعي تقصي المخطوطات والتحقيق فيها عن كثب, كما أنّه ينبغي الأخذ بعين الاعتبار كيفيَّة قراءة المؤرخين لتلك الأحداث الخارقة إذا سلمنا بوقوعها... هذا في ما يتصل بالقرينة الثانية والشق الأوَّل من القرينة الأوْلى، وأمّا الشق الثاني منها فهو جدير بالتأمّل خصوصًا إذا أضفنا إليه مشابهة السحر للمعجزة من الحيثيّة التي ذكرها الشيخ الرئيس، أعني أنّ كلاًّ منهما ينبعث في عالم الطبيعة من منشأ واحد وهو «الهيئة النفسانيّة» (الطوسي، شرح الإشارات، 3، 1161). وأما القرينة الثالثة فلا نتحدث فيها عن حرفيَّة ما جاء في الأناجيل التي تطرق التحريف إليها وإنَّما الكلام على روح المطالب بنحو كليّ. وأما القرينة الرابعة، فإنّ إعجاز القرآن الكريم وتنزيهه عن التحريف يجعل منها دليلاً قاطعا على حدوث المعجزات واتصال المسيح بالسماء، بغضّ النّظر عن ذهاب المسيحيّين إلى أنَّه كلمة الله المتجسدة وما شاكل من تفاصيل الاعتقاد بالوحي وكيفيَّاته.

وصفوة القول، أنّ الوحي أمرٌ ضروريُّ الوقوع، والمسيح من المتّصلين بالإله بحسب الشواهد.. هكذا نثبت ضرورة الوحي، ونطمئنّ بأنّ المسيحَ حلقةُ وصلٍ بين الإله الذي آمنّا به وبيننا نحن البشرَ.

■ النّقطة الثالثة: المعجزات والكتاب المقدَّس

أ. من الناحية العقليّة:

إنّ تحديد المادة الواقعيَّة للمعجزة هل هي الضرورة أم الإمكان أم الامتناع مُعلَّق على تحديد مفهومها، وتختلف المعجزة بحسب المفهوم والغرض بين الحكماء المسلمين والمتكلِّمين المسيحيِّين.

■ مفهومها وغرضها في الكلام المسيحيّ:

المشهور أنّها انقطاع للنّظم الطبيعيّ في حوادث العالم الماديّ، لا يقدر عليه إلَّا الله أو موجودٌ فوقَ الطبيعة. قال توما الأكويني عن المعجزة: «إنّ الأشياء التي يمكن تسميتها معجزة بحقّ،

هي تلك التي تقع بالقدرة الإلهيَّة وبشكل منفصل عن النظام العام الحاكم على الموجودات» (ديويس، درآمدى به فلسفه دين، 169).

وأمّا ديفيد هيوم – بوصفه فيلسوفًا غربيًّا – فقد عدّ المعجزات خرقًا لقوانين الطبيعة ونواميسها، وتردد في ثبوتها (هيوم، تحقيق في الذهن البشري، 151-152). ويعتقد هاسبرز وآخرون من اللاهوتيِّين المسيحيِّين أنّها دليل لإثبات وجود الله (هاسبرز، فلسفه دين، ص83).

■ **مفهومها وغرضها عند المسلمين:**

المشهور أنّها أمر خارق للعادة يأتي بها مدعي النبوَّة بإرادة الله وتكون دليلاً على صدق دعواه، والمقصود وقوع أمر لا يمكن التعرُّف على أسبابه وعلله من خلال التجارب الحسيَّة، وهذا لا يعني أنّه يكسر قانون العلِّيَّة في الطبيعة؛ لأن ما يقتضيه هذا القانون هو أن يكون لكلِّ معلول علةٌ ما، ولا يوجِبُ أن تكون تلك العلة قابلة للاكتشاف. ويتّضح من التعريف المذكور أنَّ الغرض منها هو إثبات النبوَّة. نعم، يوجد من علماء المسلمين مَن جعل المعجزة دليلاً على وجود الإله[1].

فالمعجزة بمعنى الخارق للعادة الذي يحفظ قوانين الطبيعة (كقانون التناقض والعلية) أمر ممكن الوقوع، وأما بمعنى الكاسر للقانون فهو ممتنع؛ إذ الممتنع لا يوجد بوجه. وكما قال فلو في تأملاته الختامية: «لا يمكنك أن تحدَّ من قدرات الإله الذي هو على كلِّ شيءٍ قدير إلاَّ إذا كان ذلك مستحيلا» (فلو، هناك إله، ص300).

ب. من الناحية التاريخيّة:

تحدَّثنا عن الجانب التاريخيِّ للمعجزة في النقطة السابقة، والآن نتناولُ تاريخيّة الكتاب المقدس.

نشاطرُ فلو الرأيَ في هذه النقطة، فإنّ الدراساتِ النقديّةَ للكتب المقدَّسة، بالإضافة إلى الإقرار بتحريفه ولو بنسبة معيّنة، وتأخر تدوينه، والاستعانة بالمرتكزات الشفوية المتناقَلة في كتابته، كل

1 - يُنظَر: النراقي، أنيس الموحدين، ص53-58؛ المراغي، تفسير المراغي، ج3، ص159؛ خسروبناه، دلالت معجزات بر اثبات وجود خدا (مقاله).

ذلك يضع مسـألة قداسة الكتاب تحت علامات استفهام كبرى، ويُشكّك في صلاحيَّته كدستور متكامـل، هذا مع الحفاظ على أهمية القيم والتعاليم المتعالية التي احتواها. ولكنّ كلام الوحي لابدَّ أنْ يكـون معصومًا للحفاظ على الغاية المحدّدة له، فإذا وصـل إلينا مُحرَّفًا ممزوجًا بكلام من البشر فسوف ينسلخ عن قداسته. وأما «الوحي الكتابيُّ» الذي يتحدث عنه المسيحيون فإنَّنا لم نعـثر على دليل كاف عليه، بل الدليل على خلافه؛ إذ كيف يتّسـق «الوحي الكتابي» مع فكرة التناقض الذي أبرزته الدراسات النقديّة الحديثة للكتاب المقدس؟! ألا يُعدُّ هذا شاهدًا بل دليلاً على أنه فرضية ليس إلا؟! ولو تنزلنا وسلمنا بفكرة الوحي الكتابي وما تنطوي عليه من مقدمات، يبقى الإشكال من جهتين:

الأُوْلى: إنّ ما بين أيدينا اليوم وما وصل إلينا قد وقع فيه التحريف.

الثانية: ما نفع الوحي الكتابيّ إذا كانت الكتب قد مسّها التّحريف بعد التّدوين؟!

إذا أضفنا فكرة تحريف الكتاب المتوافر بين أيدي المسـيحيِّين اليوم، إلى فكرة ضرورة الوحي وعظمة المسيح في التاريخ وضعف أدلة الوحي الكتابيّ، هذه الأمور ستكون باعثًا إلى تحقيقٍ أكبر وتعمُّق أكثر للعثور على مصداق جديد للوحي الذي ثبتت ضرورته، وعن سفير نبويّ آخر يحفظ مكانةَ المسـيح، وفي الوقتِ نفسه يُوجِدُ حلولاً لمعضلة تحريف الكتاب، وهنا - يا سيِّد أنطوني فلو - لا نتسرّع في اللجوء إلى خيار اللادينيّة، كما أنّنا لا نُقصي فكرة ديانة جديدة تالية للمسيحيَّة.

■ النّقطة الرابعة: أُلُوهِيّةُ المسيح

أ. من الناحية العقليّة:

1. ما المراد من «المسيحُ هو الرَّبُّ المتُجسِّد»؟

بالرغـم من اعتقاد المسـيحيَّة بإله واحد فوق الحس بل لا يطالـه الإدراك والتصوُّر ولكن، جعلت له ثلاثة أقانيم، وذهبت إلى أنّ أحدَها قد تجسّـد فكان المسـيحُ ابن الله. لقد لبسَ الإلهُ لباسَ النّاسوتِ وتجسَّد في شخص يسوع، لكي يكشف عن ذاته للبشرية ويعرفوه حقَّ المعرفة، وأخيراً يُفدى به لأجل المصالحة بين الله والبشر إثر الهوّة التي خلّفتها خطيئةُ آدم! قال الأسقف رايت: «إيماني بالمسـيح كابنِ الله المتُجسِّـد [...]» و«إن يسـوع، بعد موتـه وقيامه سرعان ما تمَّ تشـخيصه من قبل أتباعه على أنه المجسِّـد لإله إسرائيل». وقد اسـتدل الأسـقف على هذه

العقيدة الخطيرة في المسيحيَّة بمقاربة بين شخصية المسيح والاعتقاد اليهودي عن الإله (الكلمة، الحكمة، المجد، الناموس، الروح)، وعَدّ يسوعَ تجسيدًا حقيقيًّا لتلك الصّفات.

2. هل هذا المعنى ممكن أم ممتنع أم ضروري؟ وما قيمة الدليل الذي قدَّمه رايت؟

أقام الحكماء براهين كثيرة على الامتناع، وكلّ واحد منها ناظر إلى حيثيّة. نشيرُ إلى بعضها باختصار:

- **البرهان الأوَّل:** إذا تحول أحد أقانيم الإله الثلاثة إلى جسد، للزم انقلاب الوجوب الذاتي إلى إمكان ذاتيّ، واللازم باطل فالملزوم مثله.
- **البرهان الثاني:** إذا تجسَّد واجب الوجود، لتفرّع على ذلك أحد أمرين: إما أن يكون الواجب جسدا منذ الأزل، وإما أن يكون التّجسد طارئا، وكلٌّ من اللازمين باطل، فالملزوم كذلك.

وبناء على هذه البراهين العقليّة(الشـيخ، لاهوت المسيح في المسيحيَّة والإسلام ، ص273). ننتهي إلى اسـتحالة أنْ يكون يسوع كلمة الإله المتجسِّـدة، وأما التحليل الذي قدمه رايت فإنَّه ليس بشيءٍ بعد اتّضاح الاستحالة، وقد تقدم منا في التأسيس المعرفيّ ضرورة عدم المصير إلى فرضية متناقضة عقلا. وهكذا، سيكون التمسُّك بتفسير رايت هو من الأخذ بالفرضية المتناقضة.

ب. من الناحية التاريخيّة:

1. ما الأمور الباعثة لوصف المسيح بأنه ابن الله؟

- كلمات العهد الجديد، منها: «أنا هو الطريق والحق»، «صدقوني أنيِّ في الآب والآب فيّ».
- معجزاته وتصرفاته: من ولادته إلى موته وقيامته بحسب العقيدة المسيحيَّة، ورفعه إلى السماء بحسب العقيدة الإسلاميّة، فإنّ حياته ملأى بخوارق العادات.
- صفاته، وأهمها: كلي الوجود، الخالق، الغافر، السرمديّ.

2. والآن، نسأل: هل هذه الأمور تقتضي ألوهيّة المسيح؟

نقـول في مقام التحليل إنّ تلك الأفعال إما أنّها تدل على ألوهية يسـوع، وإما تدل على عظيم مقامه ورفيع درجته، أمّا الأوَّل فممتنع بحسب البراهين السابقة، فيتعينّ الثاني.

ولو أنّ أدلةَ ألوهيتِه دامغةٌ لدفعتنا لإعادة النّظر في البراهين العقليّة الكثيرة على امتناع ألوهيته،

ولكنّها أضعف من أن تشكّكنا بتلك البراهين؛ وذلك لأن:

ما ورد من العبارات التي يدّعون دلالتها على ألوهيَّته هي تلميح بالمدّعى وليست تصريحًا، وبعضها مُجمَل، وآخر مقتطع من سياقه، وفي أحسن الأحوال بعضها ظاهر في ما يدّعون، بَيد أنه يوجد أدلة أخرى من العهد الجديد ظاهرة بأنّه ليس بإله، فيقع التّعارض. هذا مع احتمال عروض التّحريف لبعض العبائر المؤيدة للعقيدة المسيحيَّة؛ إذ إنّ احتمال التحريف قويٌّ في صالح الألوهيّة.

ثمّ إنّه إذا أزحنا النّظر عن كلّ ذلك، نتساءل: بناء على الموازين المعرفيّة، هل ينفع الدليل النقلي لتأسيس اعتقاد أساسيّ؟! حاليًّا لا نلتزم بصلاحيّة الدليل النقلي لذلك؛ إذ إنّه لا يفيد يقينًا تامًّا، فكيف إذا كان غير مصون عن التحريف؟! ولقائل أن يعترض بأنّ هذا من فروع الاعتقاد.

ولو سلمنا بأنّه من فروع الاعتقاد، نقول: إذا قام دليل نقليّ على فرع من فروع الاعتقاد وكان هذا النص ظني الصدور، وظني الدلالة، وأيضا يتناقض مع العقل البرهاني فلابدّ من هجره وردّ علمه إلى أهله.

وأما المعجزات فهي دالّة على تدخل الإله، ولكن ليس بالضرورة أن يكون عن طريق التجسُّد المحال عقلاً، وإنما الأقرب أنّها دالة على اتصال المسيح بالإله. فالفرضية الأوْلى (أي التّجسُّد) متناقضة، بيد أن الاحتمال الثاني (أي اتّصاله بالإله) ليس متناقضًا، وقد ذكرنا في التأسيس المعرفيّ ضرورة اجتناب الفرضية المتناقضة.

وهنا نقول للأسقف: لماذا تُصِرُّون على أن يكون المسيح إلها على الرغم من البراهين العقليّة التي تدحض هذه الفكرة، وضعف الأدلة النّقليّة الداعمة لها هذا على فرض صلاحيتها المعرفيّة لذلك؟ لقد قدم بعض الباحثين (الشيخ، لاهوت المسيح في المسيحيَّة والإسلام، ص11) فكرةً توفيقيّةً قيّمة في هذا المجال جديرة بالنّظر, وهي أنّه لماذا لا يُقال: إنَّ المسيح «كلمة الله المتجلية» لا «كلمة الله المتُجسِّدة»؟

■ النّقطة الخامسة: القيامة

أ. من الناحية العقليّة:

تقدّم في مطلع البحث المقصود من القيامة وهي عودة المسيح إلى الحياة في اليوم الثالث

بعد صلبه وموته. ولا محذور عقليًّا في ذلك؛ إذ إنّ الذي أوجد الإنسان من العدم قادر على إعادته للحياة بعد الممات، ولا يُقال لنا «إعادة المعدوم بعينه ممتنع»؛ إذ إنّ مورد البحث ليس مصداقًا لهذه القاعدة الفلسفيَّة، وإن توهَّم البعض أنّه من مصاديقها فعنّى نفسه لإبطالها... وكيف كان، فإنّ الجهة المنطقيَّة للقيامة هي الإمكان؛ لأنّها من مصاديق قاعدة «حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد»؛ إذ لو كانت إعادة الميت إلى الحياة أمرا ممتنعا لكان ابتداء الخلقة وإيجاد العالم كذلك، وهو خُلف. أضف إلى ذلك أنّ خير شاهد على الإمكان هو الوقوع، والله خلق الإنسان ولم يكُ شيئًا مذكورًا. فلا ينبغي الشّك في إمكان القيامة عقلاً.

ب. من الناحية التاريخيّة:

تُعدُّ القيامة من المعجزات المنسوبة إلى السيد المسيح (رومية: 4: 24-25)، وبعد أنْ تقدَّم إمكانها العقليّ، بقي على عاتقنا المهمَّة الأصعب وهي التحقُّق من وقوعها في التاريخ. اتّضح في الفصل الأوَّل أنّ رايت اطمأنَّ بحدوث أمرين: خلو القبر، وقصص لقاء المسيح بعد موته، وادّعى أنّ تفسير تلك الظاهرتين لا يكون إلّا من خلال القيامة.

وكلامنا معه يقع في شقّين: الأوّل أصل ثبوت ذينك الحدثين، والثاني في الملازمة بينهما وبين النتيجة التي أخذ بها. أما وقوع الحدثين فيناقش فيهما بما ذكره أنطوني فلو نفسه[1]، والإنصاف أنّ ما طرحه من نقاط ثلاث يُشَكِّلُ تحدِّيًا كبيرًا لعقيدة القيامة.

ولو سلَّمنا جدلاً بمقدمتَي رايت سنواجه عدّة فرضيّات:

الأوْلى: أنَّه قام بعد موته، وقصص الرؤية صحيحة.

الثانية: أنَّ الجسد قد سُرق أو أُخفي في مكان ما، وقصصُ الرؤية هي مجرَّد وهم وخيال.

الثالثة: أنَّه لم يوجد جسد ليسوع من أصل، لأنّهم صَلبوا من شُبّه إليهم أنّه المسيح.

أما الأوْلى فهي وإنْ كانت ممكنة عقلاً كما ذكرنا ولا تناقض فيها، إلا أنّ فرضيّة من هذا النوع ليست قريبة لأنّ القرائن المذكورة - بحسب تراكم الاحتمال - لا ترقى إلى مستوى بحيثُ تجعلها فرضيّة متعيّنة بل لا تجعلها قريبة خصوصا إذا التفتنا إلى نوع الفرضية وندرتها في التاريخ، فمثل

1 - نقلنا هذه النقاشات في مطلع البحث، فراجع.

هذا الحدث يحتاج إلى مؤونة أكبر وقرائن أكثر لحدوث الاطمئنان بوقوعه.

وأما الفرضية الثانية فإنّها ممكنة وتتّفق مع فكرة الصلب والموت التي يعتقد بها المسيحيّون.

وأما الفرضيّة الثالثة متعيّنة عند من يؤمن بالقرآن الكريم الكتاب المعجز المصون عن التحريف، وهي فرضية وجيهة، يطمئن بها المسلمون ويقطعون.

وكيف كان، ليست عقيدة القيامة هي الدليل على الوحي واتصال الأرض بالسماء، وليست هي الحد الفاصل بين (الدِّينيّة) و(اللادينيّة – الرُّبوبيّة)، فإنّه بالإمكان أن ننكر القيامة ونبقى معتقدين بالوحي والنبوَّة العامة، لنبحث بعد ذلك عن الرجال الإلهيين، وسفراء الله في أرضه.

لقد أخذَ بنا الدليلُ إلى ضرورة الوحي، وأنّ يسوع موجود في التاريخ ولا يُمكِن أن يكون الإلهَ المتجسِّدَ، بل هو من مصاديق الرسل العظام، وأنّ المعجزات الخارقة للعادة المنسجمة مع القوانين أمر ممكن، وثمّة ما يؤيد وقوعها في التاريخ ونطمئن بذلك، وأخيرا وبعد الاعتقاد بإعجاز القرآن وصونه عن التحريف سيكون هو الدليل الدامغ على الفرضية الثالثة في ما يخصّ القيامة. وعلى ذلك التأسيس ومع تلك النتائج يتّضح نقدنا وتحليلنا لأدلة رايت وفلو ونتائج كلٍّ منهما على حدة... فلننتقل إلى المحور الثاني.

■ المحور الثّاني: التّحليل والنّقد البنائيّان

بعد أن بيّنّا المعيار المعرفيّ ووصلنا إلى نتائج مُرْضية ونقدنا مبنويًا ما تقدم في الملحق الثاني من كتاب هناك إله، تصل النوبة للنقد البنائي والذي نوجّهه إلى عدّة مسائل[1]:

أولاً- ذكر أنطوني فلو: «أنا أعتقد أنّ الدِّين المسيحيَّ هو بوضوح أكثر الأديان استحقاقًا للاحترام والتقدير» (فلو، هناك إله، ص259).

نلاحظ أنّ هذه هي زلة القدم الأوْلى في سيره البحثيِّ عن الدِّين، حيث إنّه لجأ لإقصاء ديانة كبرى برمّتها أعني الديانة الإسلاميّة وما تكتنزه من نقاط قوّة معرفية وحقائق ثابتة، وهذا مما لا يليق بالباحث عن الحقيقة. وأحتمل جدًّا أنّه لو اعتنى بالأدلة المقدَّمة من قبل حكماء الإسلام الحقيقيِّين لاقتربَ إلى شاطئٍ ينجيه من مستنقع اللادينيّة والحيرة.

1 - بعض هذه الانتقادات قد تقدّم بها مُراجع النسخة المترجمة لكتاب «هناك إله».

ثانيًا- أنطوني فلو: «التقدّم الهائل الذي أحرز في الدراسات النقديّة للعهد الجديد وغيرها من المصادر لتاريخ أصول المسيحيَّة، لا يدع لأولئك الذين يقدمون ادِّعاءات واسعة وكبيرة مجالا للاختباء» (فلو، هناك إله، ص260).

ويُقال في هذا: إنَّ نقد التراث المسيحيَّ برمّته وليس المصادر التاريخيّة فحسب، لا يُشَكِّلُ دليلًا على إنكار الوحي؛ إذ لا ملازمة بينهما؛ فإنَّ الدليل على الوحي ليس تاريخيًّا محضًا ولا مسيحيًّا صرفًا كما اتّضح.

ثالثا- عندما تحدّث الأسقف رايت عن الفاصل التاريخيّ بين حادثة القيامة والتدوين قال: «في ما يخص حجتي، هذا الأمر لا يعني شيئًا على الإطلاق» (فلو، هناك إله، ص281).

أقول: يُشَكِّلُ هذا الفاصل الزمنيّ – المتراوح بين عقدين وتسع عقود على اختلاف الأقوال – المعضلة الصّعبة والحلقة المفقودة لعقيدة القيامة بصورتها المعروفة، فإنّ لازمه الطبيعيّ أحد أمرين: إما أنّ الكُتّاب قد استمعوا لشهود عيان فيكون نقلًا عن حسٍّ ويعطي لأدلّة عقيدة القيامة قيمة لا بأس بها، وإما أنّهم دوّنوا الأحداث من المرتكزات الشفهيّة. وثمّة ما يبعد الاحتمال الأوَّل وهي الدراسات النقديّة للكتاب المقدس التي صرّحت بأنّ الأناجيل قد دُوّنت في مناطق متباعدة عن بعضها البعض، وباللغة اليونانية، بَيد أنّ لغة حواريي المسيح كانت الآراميّة. هذا ما يجعلنا نقول بمرجوحيّة الاحتمال الأوَّل، ويترتّب على الاحتمال الثاني أنْ تكون المدوّنات عرضة للزيادة والنقصان، ومن ثَمَّ تضعف القيمة المعرفيّة لكل ما وصلنا من التاريخ حول هذه العقيدة.

رابعًا- استشهد الأسقف رايت بعبارة من الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال: الصالحون سوف يلمعون مثل النجوم في مملكة الأب، ويعلّق: «يسوعُ لم يكن ليظهر كنجم يلمع في أيٍّ من روايات القيامة فيما لو كانوا قد حبكوا هذه القصة»، وعدّ هذا شاهدًا يقلِّل من احتمالية أن تكون قصصُ القيامة مُفبركةً من قِبَلِ الكَتَبَة.

أقول: ألا يحتمل أنْ يكون معنى هذه العبارة أن الصالحين سيكونون في مقام مرموق في الآخرة؟ وردت هذه العبارة في موضعين وبالرجوع إليهما سوف نجد ما يعيّن أحد الاحتمالَين، إلا أنّنا سوف نقتصر في هذا المختصر على ذكر مورد واحد:

«(2) وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم إلى الحياة (3) الأبديّة

وبعضهـم إلى الخزي والهوان الدائـم، والفاهمون يضيئون كضياء الرّقيـع (4) والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالنجوم إلى أبد الآبدين» (دانيال: 12). عبارة «يستيقظون... الهوان الدائم» قرينة على أنّ المقصود هو الدار الآخرة وأنّه في مقام البيان من هذه الجهة. فلَيتَ شِعري كيف فهم الأسقف رايت أنَّ المقصود هو القيامة؟! لذا، أستبعد أن يكون رايت قد أراد ذلك، وإنما قَصَـدَ أن يقول: إذا أردتَ أن تَحبك قصّة خياليَّة عن القيامة لاسـتعنت بهذه الفكرة المتعلّقة بالآخـرة.

خامسًـا- قال أنطوني فلو: «الأدلة على قيامة المسـيح محدودة جدًا. [...] وهذه الرسائل] رسـائل بولس[تنطوي على تفاصيل حسـيَّة ضئيلة جدًّا عن قيامة المسـيح» (فلو، هناك إله، ص260).

ونلاحظ على ذلك أنّ تضافر الأخبار عن واقعة ما قد يدفعنا لترجيح وقوعها، بل لليقين به فيما لو وصلت إلى حدّ التواتر. ويُشـترطُ في ترجيحها، وخصوصـا في يقينيتها الكثرةُ العددية، دون تحديد لتلك الكثرة؛ لأنّ ذلك خاضـع لعوامل موضوعيّة من قبيل نوع القضيَّة المتواترة وكونها متعارفة أو مستهجنة، وأخرى ذاتيَّة من قبيل المشاعر العاطفيّة. ولابدّ أنْ تكون هذه الأخبار منقولة عـن حسّ لا عن حدْس؛ لأنّنا لا نبتغي معرفة اجتهـاد المنقول عنه في فهم الحدث، وإنما نريد معرفة ملابسـاته كما وقع لنقرأه بعد ذلك. من هنا إذا قارنّا عدد الإخبارات الحسيَّة الموجودة في رسـائل بولس مع نوع القضيَّة (القيامة)، سـنجد أننا أمام عدد قليل من الإخبارات الحسيَّة على قضيَّة غريبة، وهذا ما يجعلنا نتوقف في التّرجيح فضلا عن القطع والضرورة التي تُفهم من كلام الأسقف رايت.

سادسًـا- قال أنطوني فلو: «هل يمكن أن يكـون هناك وحي مقدّس؟ كما قُلتُ، لا يمكنك أن تحدّ من قدرات الإله [...] إلا إذا كان ذلك مستحيلا من الناحية المنطقيَّة».

نلاحـظ أنّ فلو قد وضع قضيَّة الوحـي في بُقْعَة الإمكان حيث إنّه لم يعتقد بحدوثه ولم يعتقد بنفيه؛ لأنّ الأدلّة المقدَّمة من قِبَل المسيحيَّة على وقوع الوحي ضعيفة - أو قل: غير كافية - بنظره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يوجد دليل على امتناع وقوعه طالما أن الله قادر على كلّ شيءٍ ممكن. لكنّك عرفتَ أنّ البراهينَ التي استعرضنا أحدها في المحور الأوّل تدفعُ فكرةَ الوحي من حيّز الإمكان إلى ضرورة الوقوع.

خاتمة

كان غرضنــا في هــذه المحْكَمَة أن نقدم تحليلا ونقدا للملحــق الثاني من كتاب «هناك إله» والــذي انصبّ على المحور الثاني من الرؤيــة الكونيَّة (الوحي)، حيــث انتهى أنطوني فلو إلى (اللادينيّــة - الرُّبوبيّة) والوقوف موقف اللاأدريّ إزاء هذه القضيَّة، كما أنّه قد أُتِيحت لنا الفرصة للتحقيق في أهم عقائد المسيحيَّة. وقد خلصنا بالنتائج التالية:

1. إنّ الأسـئلة ذات البعـد الوجودي يتولّد بعضها من بعض كسلسـلة مترابطـة، وقد انطلقنا في الحلقـة الأوْلى (من الإلحاد إلى الاعتقـاد) من المحور الأوّل للرؤيـة الكونيَّة، وطرحنا في هذه المقالة المحور الثاني منها (من اللادينيّـة إلى الدِّينيّة والإيمان بالوحي)، وكان أنطوني فلو والأسقف رايت الطرفان المتخاصمان في هذه المحكمة.

2. عرفنا المراد من الوحي بطريقة مقارنة بين المسيحيَّة والإسلام، كما واطلعنا على المراد من القيامة واللادينيّة والكتاب المقدس بعهديه.

3. تناولنا في الفصل الأوّل الخطوط العامة لحوار رايت وفلو، إلا أنّه في الحقيقة لم يكن نقاشا بما للكلمة من معنى، وإنما هو أقرب للسؤال والجواب منه إلى الحوار، واتّضح هناك أهم العقائد التي يعتقد بها كل من الطرفين.

4. لقد وقف الأسـقف رايت موقف المؤيـد في النقاط الخمس؛ فاعتقـد بالوجود التاريخي ليسوع، والوحي، والكتاب المقدس والمعجزات، والتجسد، والقيامة. ولكن اتّضح أمران:

أ. لم يتناول المطالب بطريقة تأسيسيّة، بل تناولها جميعا بمنهج تاريخيّ.

ب. كان يستشهد بأدلة ظهر ضعفها من خلال مناقشتنا المبنويةَّ في الفصل الثاني.

5. وقف فلو موقف المتحير إزاء مسـألة الوحي وأغلب النقاط المذكورة، وأنهى الحوار دون نتيجة تُذكَر. ونعتقد أنّ لذلك سببين أساسيِّين:

أ. النَّفَسُ التاريخي في مقاربة المسائل من قبل الأسقف، مع أنّ فلو أستاذ في الفلسفة، ويحتاج إلى تبيين أدلّة عقليّة في المسائل التي يُتاحُ فيها ذلك.

ب. إقصاء الأديان الأخرى والحكمة الإسلاميّة من قبل أنطوني فلو.

6. ثمّة نقاط تأسيسية لا ينبغي للباحث أن يغفل عنها:

أ. طبيعة المســألة تحدد النّطاق المعرفيّ الذي تنتمــي إليه ومن ثَمَّ الدليل الذي ينبغي اللجوء إليه، وكذلك القيمة المعرفيّة التي نتوخاها: اليقين بالمعنى الأخص أم الاطمئنان الاستقرائيّ.

ب. اجتناب الفرضيّات المتناقضة، وترك الفرضيّات البعيدة.

ج. التصنيف المعرفيّ للمسائل الذي يسهل على الباحث عملية التمحيص والتنقيح.

7. اســتدللنا على وجود المســيح التاريخيّ ونبوته، وبرهنّا على ضرورة الوحيِّ، وناقشنا رايت في دليله على أصل حدوث القيامة، ومن خلال هذا حقّقنا أمرين:

أ. اتّضح مواضع الاعوجاج في النّقاش الدائر بين رايت وفلو.

ب. اتّضح الطريق القويم في الوصول إلى الاعتقاد.

8. ذكرنا انتقاداتٍ بنائيّة على بعض المسائل الأساسيَّة التي مرت في الحوار.

9. تجدر الإشارة إلى أنّه من المحتمل أن تكون بعض العقائد المذكورة قد تسرّبت من ثقافات وديانات أخرى (يونانية ورومانية وغيرها) إلى المسيحيَّة، والباحثون في تاريخ الإنسانيَّة سيجدون مشتركات لا بأس بها بين العقيدة المسيحيَّة من تجسّد وقيامة، وبين تلك الثقافات والدّيانات.

10. أخــيراً، أود التّنبيه على أنني لا أتوخّى في هذه المقالة اســتيعاب كل مــا ينبغي أن تطالَه، ولكنني عملت على تفصيل الأهم بالقدر المتاح وأشرت إلى المهم. فهي نواة تأسيســيَّة لدراسة أشمل وأعمق عسانا نوفق لكتابتها في قابل الأيام.

أهمّ المصادر

القرآن الكريم

1. ابن سينا، حسين بن عبد الله (الشيخ الرئيس)، الشفاء (الإلهيَّات)، تحقيق: الأب قنواتي وسعيد زايد، الطبعة الثانية2012-م، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى.

2. ابن سينا، حسين بن عبد الله (الشيخ الرئيس)، النفس من كتاب الشفاء، تحقيق: حسن زاده آملي، مكتب الإعلام الإسلاميّ.

3. بدوي، عبدالرحمان، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، الطبعة الثانية1993-م، سينا للنشر.

4. جوش ماكدويل وبارت لارسون، حقيقة لاهوت يسوع المسيح، الطبعة الثانية، هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة.

5. ديويس، براين، درآمدى به فلسفه دين، 1387ش، ترجمه: مليحة نصيرى، مركز نشر دانشگاهى.

6. شيفر، بيتر، يسوع في التلمود: المسيحيَّة المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي، ترجمة وتقديم وتعليق: نبيل فياض، الطبعة الأوْلى2016-م، المركز الأكاديميّ للأبحث.

7. طه، أحمد، المسيح بن مريم في القرآن الكريم، 1435ه2013-م، أمتي للنشر الإكتروني.

8. الطوسي، محمد بن محمد (نصير الدِّين)، تلخيص المحصل، الطبعة الثانية1405-ق، دار الأضواء.

9. العكبري، محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، تصحيح اعتقادات الإماميَّة الشيخ المفيد، تحقيق: حسين دركاهي.

10. الفارابي، محمد (أبو نصر)، آراء اهل المدينة الفاضلة الفارابي، 2013م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

11. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الطبعة الأوْلى-1430ه.ق، دار الحديث للطباعة والنشر.

12. مطهرى، مرتضى، مجموعه آثار (بالفارسية)، چاپ پنجم، 1378ش- انتشارات صدرا.

13. هاسبرز، جان، فلسفه دين (بالفارسية)،1371ش، ترجمه: مركز مطالعات و تحقيقات إسلامى دفتر تبليغات.

14. هيوم، ديفيد، تحقيق في الذهن البشري، ترجمة: محمد محجوب، الطبعة الأوْلى2008-م، نشر: المنظمة العربيّة للترجمة.

15. اليســوعي، بولس، يسوع المسيح: شخصيته-تعاليمه، الطبعة الثانية منقحة ومزيد عليها-1963م، منشورات المطبعة الكاثوليكية.

16. ALLEGRO, JOHN. (1970). The Sacred Mushroom and the Cross

17. DREWS, ARTHUR, The Christ Myth

18. LUCIAN, The Death of Peregrine

19. TACITUS, Annales, LIBER XV

20. WELLS, GEORGE. (1975). Did Jesus exist? Revised Edition